مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ : ٥/ ١٠/ ١٩٧٢

انجـــازات أكتـــوبر
من وحى خطـــاب الرئيـــس

الأحداث

الهـامة والمؤثرة التى تصـنع مسـتقبل اى دولـه من الدول تشبه الى حد كبير قطع المـاس الطبيعى .. كلما مر عليها الوقت ازدادت لمعانا وبريقا ، وارتفعت قيمتها ..

والنصر الذى حققناه فى حرب اكتوبر المظيمة يعـد — بـكل المقاييس — من هـذه الاحداث التى لم تؤثر فقط فى صـنع مستقبل مصر ، بل اثرت فى صنع مستقبل الوطن العربى ككل .. فليس هناك دولة على الخريطة العربيـة لم تسـتفد من نصـر اكتوبر ..

ولا اذهب بعيـدا اذا قلت ان هـذا النصر امتدت نتائجه لتؤثر ايجابيـا لمصـلحة العرب فى عواصم عديدة من العالم ، ان لم تكن كلها ..

ولقد ميزت هذه الحرب صورة العرب التى كانت قد ارتسـمت فى ذهن صناع السياسة الدولية ثم فوجئوا ان الصـورة لم تكن حقيقية ، ومن هنا بدأت المواقف تاخذ الوضع الذى يرى الحقائق بعد ان غابت سنوات طويلة ..

ومن المؤكد ان آثـار حـرب اكتوبر هنا فى مصر اكبر من ان تقيم ، واكثر من ان تحصى ..

ولم تكن كل هـذه الاثار وليدة

الحرب ، ولكن بعضها صاحب الاعداد لها ..

والخطاب الذى القاه الرئيس انور السادات فى الذكرى السابعة لرحيل الرئيس جمال عبد الناصر يعد ـ فى رأيى ـ تجسيما وتجسيدا لاثر حرب أكتوبر على سياستنا الداخلية .. لقد بدا هذا الاثر ـ كما قلت ـ مصاحبا للاعداد لهذه الحرب ، ثم امتد بعدها كنتيجة مباشرة للنصر الذى حققناه ..

ونحن اذا القينا الضوء على الجوانب الهامة التى تناولها الرئيس فى خطابه ، نستطيع أن نرى بوضوح واقتناع مدى التغيير الذى دخل حياتنا السياسية ، كرد فعل مباشر منذ اللحظة التاريخية التى اتخذ فيها الرئيس السادات قراره بحرب أكتوبر ، وهو قرار من اخطر القرارات التى اتخذت فى تاريخ هذا البلد ، وهو فى نفس الوقت اشجعها ..

لم يكن من الممكن ان ندخل حرب أكتوبر الا من فوق أرض صلبة وبعزيمة قوية وصفوف متراصة ، ولذا كان يجب ان نعالج خطأ ارتكب فى حق قطاع من الشعب المصرى ، أدى الى شعوره بنوع من الظلم وقع عليه وترك فيه أثرا لجرح لا يندمل ، دفعه الى ان ينفصل عن المجتمع الذى يعيش فيه ، وبالتالى الشعور الجارح بعدم الانتماء ..

اذن كان لابد ان يرفع الظلم عن المظلومين ، وان ترد الحرية الى الذين سلبت منهم .. وكانت الخطوة الاولى على هذا الطريق هى اغلاق المعتقلات ، ورفع الحراسة عن الذين وضعوا تحتها ..

وجاءت الخطوة التالية ، وهى ثورة ١٥ مايو ، التى ضربت مراكز القوى ، واقامت دولة المؤسسات ، وفرضت سيادة القانون ..

كل هذه الخطوات كانت ضرورية وواجبة التنفيذ ، حتى نمهد الطريق لحرب أكتوبر ..

وسرنا خطوات مضنية وشاقة وتغلبنا على كثير من الصعاب والعقبات بجهدنا وعرقنا وايماننا بأن الاعتماد على النفس هو أولى خطوات النجاح ..

وجاءت حرب أكتوبر .. وانتصرنا .. وحدث الزلزال داخل اسرائيل .. وتغيرت صورة المنطقة ..

وبعد النصر ، كان لابد من جنى ثماره .. ثمارا افتقدناها سنوات طويلة .. وكان أولها التطبيق الديمقراطى .. وقد عبر عنه الرئيس فى خطابه قائلا :

« ان التصحيح الديمقراطى لم يكن سهلا ، ولن يكون نزهة بين المروج والازهار .. انه طريق طويل شاق .. انه يعبر الى أول تجربة فى التاريخ ننتقل فيها الان من حكم الفرد الى حكم الشورى بارادة الحاكم والمحكوم معا ، يجرد فيها الحاكم نفسه من كل السلطات الفردية الاستثنائية ، من أجل حرية المحكوم ، ويتولى المحكوم سلطاته الدستورية ويمارس حرياته السياسية ، لكى يحاسب الحاكم اذا اخطأ ، ولكى يقوم طريقه اذا تنكب الطريق .. وهى ليست منحة من الحاكم ، لان الحرية من حق الملايين الذين اختاروه لتولى الامانة ولاعلاء الحق ، ولن يكون منحة تعطى اليوم لكى تحجب غدا .. فحاكم اليوم هو المحكوم غدا ، والحرية ليست ترف للمحكوم ، بل هى دعوة الى تحمل المسئولية ، والى المشاركة فى حمل الاعباء ، وهى ايضا التزام كل مواطن بالعطاء فى ظل الشرع والدستور » ..

ولا حرية ولا ديمقراطية من غير حرية الصحافة ، تلك الحرية التى حرمنا منها نحن الصحفيين الى الدرجة التى نسينا فيها معنى حرية الصحافة « وفى قرار من سطرين ، رفع الرئيس السادات الرقابة عن الصحف بلا رجعة » .. وبدأت الصحافة تمارس حريتها،وتعبر عنرأيها .. توجه وتنقد وتعكس احاسيس الجماهير .. ليس هناك من يرتفع فوق النقد .. ومع ذلك فحرية الصحافة مسئولية ضخمة لابد وان يقدرها الصحفيون ، ويدركوا ابعادها ويحرصوا على الا تكون الصحافة سلاحا يهددون بها من يشاءون ، ويوجهونه لتحقيق غرض او مصلحة .. ليست هذه هى رسالة السلطة الرابعة ، وفى هذا قال الرئيس السادات فى خطابه :

« صحافة الشعب هى تجسيم نابض حى لامال الجماهير وآلامهم وهى تصبح فعلا السلطة الرابعة ..سلطة تعدل ولا تظلم ..تقوم ولا تهدم .. تبشر بالنور ولا تجرى كلمتها بدعوات الظلام .. تقدم الامل الصادق .. ولا تخدع فى زيف الاعلام سلطة الشعب كل الشعب .. تؤدى وظيفتها الاجتماعية ، التزاما بالدستور ، وباسم الشعب مصدر السلطات »

وكان من الانجازات الهامة لنصر اكتوبر .. وتحقيقا لمسيرة الديمقراطية .. اطلاق الحرية ، وقيام الاحزاب السياسية ، بعد ان تأكد لنا عدم سلامة صيغة الاتحاد الاشتراكى .

ويقينا فان قيام الاحزاب كان لابد وان يتم فى ضوء التجربة الماضية التى مررنا بها قبل الثورة فان الغاء الاحزاب بعد ثورة ٢٣ يوليو ، لم يكن مجرد اجراء ثورى وانما كان يعنى فساد التجربة

الحزبية ومساهمتها مساهمة فعالة فى افساد الجو السياسى العام وعدم ادراكها للمسئولية التى كان يجب ان تتحملها فى ذلك الوقت ..

اذن فان الموافقة على قيام الاحزاب السياسية الجديدة كان لابد ان تضع الضمانات التى تمنع تكرار ما حدث فيما قبل الثورة ، وان تكون الاحزاب الجديدة معبرة تعبيرا صادقا عن محصلة التجارب التى مررنا بها منذ قامت ثورة ٢٣ يوليو وحتى ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ..

واى محاولة لاستغلال شعبية اى حزب من الاحزاب القديمة ، محاولة محكوم عليها بالفشل لاكثر من سبب .. لقد تغيرت المفاهيم ، وتغيرت الاوضاع ، وتغيرت نوعية الحكم واسلوبه ، وبذلك فان محاولة العودة الى الماضى تعد سعيا لاعادة عقارب الساعة الى الوراء ، او تحديا للتيار العصرى الجديد ..

وفى هذا المعنى ، قال الرئيس السادات فى خطابه :

« وعلى الرغم من ان التجربة الديمقراطية تصطدم بمناورات من يريدون استثمارها ، عودة بنا الى الوراء ، او اجهازا على ديمقراطية الشعب كل الشعب ، فنحن نتفهم فى الوقت نفسه ان هذا هو الثمن الذى علينا ان ندفعه ، وهو ضرر اذا كنا نتقبله كظاهرة خلاف عارضة ، فاننا مطالبون فى نفس الوقت بنداء المسئولية والالتزام ان نحمى التجربة ممن يريدون الانقضاض عليها او ممن يتصورون وهما او انزلاقا فى التقدير ان الديمقراطية تعطيهم الفرصة السانحة للهدم او للتقويض .. ان القيود لا تفرض الشروط ، فان سلطان الشعب قادر على تبديد كل صوت شارد وكل دعوة ضالة لم تعتبر بدرس التاريخ وسيادة القانون ، كفيلة برد الحراب الى صدور من يوجهون الحراب الى ديمقراطية الشعب كل الشعب ، ولن تكون الحرية هى الفوضى » ..

ولا ادل على نظام الشورى ، الذى تفرضه الديمقراطية الحقيقية والمخلصة ، من تلك الدعوة التى وجهها رئيس الجمهورية لكل الجماهير ، بأن تشارك بالراى فى موضوع الدعم ..

ان الدعم من المشاكل التى تضع على الاقتصاد المصرى اعباء لا قبل له بها ، وكان من الممكن أن تلغى الدولة هذا الدعم بجرة قلم ولكن التطبيق الديمقراطى الحق دفع رئيس الجمهورية الى ان يقول فى خطابه :

« اعدكم ان قرارا لن يتخذ فى موضوع الدعم ، ابقاء أو الغاء جزئيا ، الا برؤية الجماهير ومشورتها ، وبعد حوار موضوعى ياخذ وقته الكامل .. واعدكم ايضا انه مهما كان القرار الصادر بارادة الجماهير ، النابع من تفهمها لحقائق الوضع الاقتصادى

واقتناعها بالاسلوب الامثل للسير في تصحيح المسار الى منتهاه .. اعدكم بان رغيف الخبز والسلع الاساسية التى ارتفعت أسعارها في بلاد العالم ، وبلا استثناء ، الى اضعاف الاضعاف .. اعدكم بان دعمها لن يمس » ..

واخيرا .. وليس آخرا ان حرب اكتوبر قد فتحت لنا ابوابا كثيرة كانت موصدة في وجوهنا .. وعلى سبيل المثال ، الحصول على السلاح ..

لقد اعتمدنا لفترة طويلة على السلاح السوفيتى ، ولكن موسكو — ولاغراض في نفسها معروفة ومكشوفة — منعت عنا السلاح وقطع الغيار بعد حرب اكتوبر ، لانها لم ترض ان نكون أصحاب القرار واصحاب الارادة .. فماذا حدث ؟ .. لقد استطعنا ان نجد أسواقا للسلاح كانت مغلقة بالنسبة لنا ، وكانت محرمة علينا واستطعنا ايضا ان نحصل على قطع الغيار ، بل واكثر من ذلك ها نحن نبنى مصانع السلاح لتنتج لنا ما نحتاج اليه ..

وعلى كل المشككين والمضللين والحانقين ، ان يعلموا ان قواتنا المسلحة على اقصى درجات الاستعداد لكى تقوم بواجبها اذا ما فشلت الجهود التى تبذل الان للتوصل الى السلام ..

يبقى ان اقول انه عندما يهيىء الحاكم لشعبه المناخ الصحى السليم للعمل والانتاج والتقدم والرفاهية ، فان ذلك يتطلب من الجماهير استجابة واعية لحاجة الدولة ، وعملا دؤوبا لتحقيق الهدف ..

وقد عبر الرئيس السادات عن ذلك قائلا :

« ان قوة الدولة من قوة كل ساعد من سواعد ابنائها وعقولهم .. واذا كانت الابواب تفتح اليوم بابا بابا ، فعلى شعبنا ان يقتحم الباب المغلق لا المفتوح ، وعلى شبابنا ان يشارك في بناء مجتمع الانفتاح وتشجيع الموهبة واحترام العرق الطاهر على جباه العاملين »

اننا في حرب اكتوبر العظيمة لم نعبر قناة السويس فقط ، بل عبرنا قنوات عديدة :

- **عبرنا قناة الحرية .**
- **وعبرنا قناة الديمقراطية .**
- **وعبرنا قناة الارادة الحرة .**

وكما تعمل قواتنا المسلحة على الحفاظ على مكاسب اكتوبر ، فعلينا نحن ان نحافظ على تلك القنوات التى عبرناها .. القوات المسلحة تحافظ على مكاسبها بسلاحها وكفاءة ابنائها ، ونحن نحافظ على مكاسبنا بالعمل والانتاج وكفاءة ابنائنا ..

على عبدى الجمال